

## حرية الوصول للمعلومات

### قضايا أخلاقية للمكتبيين في عصر الإنترنت (\*)

تأليف

إرينا تروشينا

مساعد نائب المدير لشئون البحث  
المكتبة الوطنية الروسية

ترجمة

د. محمد إبراهيم حسن محمد

قسم المكتبات والوثائق والمعلومات  
كلية الآداب - جامعة المنيا

#### ملخص:

من الأنشطة الرقابية ، التي تتضمن الرقابة غير المسماة واقتلاع حق المستفيد في التواصل مع الإنترنت من جذوره . ويجب على المكتبيين اعتناق مبدأ الحرية الفكرى ويعزو ذلك إلى أن المكتبات هي مؤسسات إنسانية ، ومن ثم فإن المكتبيين يقع على عاتقهم واجبات أدبية وأخلاقية تجاه المستفيدين من الخدمات التي يقدمونها . تناقش هذه الورقة القضايا الأخلاقية المرتبطة بالتعامل مع الإنترنت من ناحية ، والعلاقة الإرتباطية بين التشريعات المهنية ومدى تأثيرها على ممارسات المكتبات .

#### مقدمة:

يعرف مشروع لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير المنبثقة من الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومعاهدها - International Federation of Library Association and Institutions Committee on Free Access to Information and

تعتمد المكتبات على اعتبارات أخلاقية أكثر من أى مؤسسة أخرى ذلك أن خدمات المكتبات متطلبات أساسية للإنسان . وتُصاغ غالبية المبادئ الأخلاقية للمكتبيين في صورة دستور أخلاقي مهني . وفي الوقت الراهن يعكس كل دستور من هذه الدساتير الأيدلوجية الوطنية لخدمات المكتبات والإطار الفكرى الذى تعمل فى كنفه . ويشير التحليل المقارن للدساتير الأخلاقية التى توفرت عليها المكتبات الوطنية إلى اعتبار مبدأ الحرية الفكرية الركيزة المفتاحية والقيمة الأخلاقية السامية التى يركز عليها تقديم الخدمات المكتبية . فمع الانتشار المطرد لاستخدام الإنترنت فى المكتبات ومرافق المعلومات اعترى هذا المبدأ مشكلات خطيرة واكتنفت قضايا شائكة . أن التقنية الحالية للكف الهائل من المعلومات لهو مستوى جديد غير مسبوق

(\*) Trushina, Irina. Freedom of Access: Ethical Dilemmas for Internet librarians. The Electronic Library. Vol. 22, No. 5 (Nov. 2004), pp. 416-420.

كمؤسسات يلجأ إليها الأفراد ويتعاملون معها بكثافة يجب أن تكون مطبقة للقواعد القانونية والأخلاقية معاً ، لأنه ما من مجتمع يمكن له أن يتجاهل دور المكتبة وما تقدمه من أنشطة . ويعتبر التشريعات الأخلاقية والسلوكية أكثر لوائح المكتبات ومرافق المعلومات إثارة للجدل لا سيما عند السعي إلى نشرها .

على أية حال ، تعد الدساتير الأخلاقية للمكتبيين ظاهرة حديثة نوعاً ما خاصة إذا ما قورنت بقسم أبقراط ذلك التشريع الأكثر شيوعاً لأخلاقيات مهنة الطب منذ العصور القديمة . ومعظم هذه الدساتير المكتبية صيغت في أواخر القرن العشرين . وكما يوضح الجدول رقم (١) ، صدر أحد هذه الدساتير الأخلاقية (الأمريكي) في عام ١٩٣٨ ، وصدر الدستور الثاني (الكندي) في عام ١٩٦٦ . وصدر في السبعينات من القرن العشرين دستوران ، وصدر في الثمانينات من نفس القرن ثلاثة دساتير . وصدرت غالبية الدساتير (١٧) في الستينيات من القرن العشرين . وصدر خلال الفترة من عام ٢٠٠٠ حتى ٢٠٠٤ أربعة دساتير فقط . ويعتبر دستور الجمعية الأمريكية للمكتبات هو أول تشريع أخلاقي لمهنة المكتبات حيث صدر في عام ١٩٣٨ ، كما يعتبر الدستور الأرميني والفرنسي الذي توفر عليهما جمعية المكتبات في كلتا الدولتين هما الأحداث على الإطلاق وصدرتا خلال عام ٢٠٠٣ .

وكما يقودنا البحث في تاريخ صياغة الدساتير الأخلاقية في دولة مختلفة من جميع أنحاء العالم والذي قمنا بإعداده عام ٢٠٠٣ إلى أن الدساتير الأخلاقية تتطلب حداً أدنى لنمو المهنة ونضجها

Freedom of Expression (Ifla/Faife) الخاص بأخلاقيات مهنة المكتبات<sup>(١)</sup> على نطاق واسع كأحد أهم المشروعات التي توفرت عليها الإفلا للدفاع عن حقوق الإنسان التي حددها المادة ١٩ من الميثاق العالمي للأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان .

ويتيح موقع لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير على شبكة النسيج العنكبوتي (الويب) الدساتير الأخلاقية التي صاغتها جمعيات واتحادات المكتبات في ٣٠ دولة من مختلف أنحاء العالم<sup>(٢)</sup> . ونظراً لأن لكل دولة قضاياها الخاصة وأولوياتها المختلفة التي تحظى بالاهتمام أكثر من غيرها ؛ تحتاج بعض نصوص تلك الدساتير إلى التعليق والتحليل ، ومن ثم كان ذلك مصدر إلهام للبروفيسور ر. فأجان R. Vaagan الذي يعمل بجامعة أوسلو والمتخصص في موضوع أخلاقيات مهنة المكتبات، الأمر الذي دفعه للقيام بعمل دراسة مسحية على المستوى الدولي في هذا الموضوع . استهدف هذا المشروع وصف الظروف الراهنة وتحديد القضايا المفتاحية في مجال أخلاقيات المكتبات والمعلومات في دول مختلفة على ضوء ركائز مجتمع المعلومات . وشارك في هذا المشروع كل من المكتبيين والمهنيين وعلماء المكتبات ، ونشرت النتائج في كتاب توفر على تحديد محتوياته . د. روبرت فأجان بعنوان: أخلاقيات مهنة المكتبات : دراسة مسحية دولية<sup>(٣)</sup> .

ربما تحتاج مهنة المكتبات إلى ميثاق للمبادئ الأخلاقية أكثر من أية مهنة أخرى . إن المكتبات

(1) FAIFE: [www.ifla.org/faiife](http://www.ifla.org/faiife).

(2) FAIFE code of ethics: [www.ifla.org/faiife/ethics/code.htm](http://www.ifla.org/faiife/ethics/code.htm).

(3) Vaagan, R. The Ethics of Librarianship: An International Survey Munich: K. G. Saur, 2002.

وما تلقاه من دعم . وتقدم مثل هذه التشريعات  
الأسس التي تضبط الإتجاهات القيمية والمبادئ  
الأخلاقية التي تؤثر في السلوكيات المهنية التي قد  
تمليها بعض المواقف التي لا يمكن تطبيق المعايير  
الاجتماعية خلالها .

جدول رقم (١)

دساتير الأخلاق المكتوبة في دول العالم حسب سنوات الإجازة

| الدولة           | السنة | مسلسل |
|------------------|-------|-------|
| الولايات المتحدة | ١٩٣٨  | ١     |
| كندا             | ١٩٦٦  | ٢     |
| كوستاريكا        | ١٩٧٤  | ٣     |
| تايلاند          | ١٩٧٧  | ٤     |
| اليابان          | ١٩٨٠  | ٥     |
| المملكة المتحدة  | ١٩٨٣  | ٦     |
| استراليا         | ١٩٨٦  | ٧     |
| المكسيك          | ١٩٩١  | ٨     |
| جاميكا           | ١٩٩١  | ٩     |
| الفلبيين         | ١٩٩٢  | ١٠    |
| كرواتيا          | ١٩٩٢  | ١١    |
| هولندا           | ١٩٩٣  | ١٢    |
| هونج كونج        | ١٩٩٥  | ١٣    |
| سلوفانيا         | ١٩٩٥  | ١٤    |
| ايسلندا          | ١٩٩٦  | ١٥    |
| أوكرانيا         | ١٩٩٦  | ١٦    |
| ايطاليا          | ١٩٩٧  | ١٧    |
| كوريا            | ١٩٩٧  | ١٨    |
| السويد           | ١٩٩٧  | ١٩    |
| سريلانكا         | ١٩٩٧  | ٢٠    |
| سويسرا           | ١٩٩٨  | ٢١    |
| ليتوانيا         | ١٩٩٨  | ٢٢    |
| البرتغال         | ١٩٩٩  | ٢٣    |
| روسيا            | ١٩٩٩  | ٢٤    |
| استونيا          | ٢٠٠١  | ٢٥    |
| النرويج          | ٢٠٠٢  | ٢٦    |
| أرمينيا          | ٢٠٠٣  | ٢٧    |
| فرنسا            | ٢٠٠٣  | ٢٨    |

ويقدم كل دستور من هذه الدساتير - مهما بلغ قصره - شيئا ما يفوق مجموعة المعايير السلوكية التي تحكم المهنة . ففي الحقيقة ، يقدم التشريع إطار عمل للقيم المهنية ، النموذج الفكري Paraddigm الذى يهدف إلى تنمية المكتبة الوطنية وتطويرها فى كل دولة على حدة . وعمد الدستور إلى توصيف الأهداف من وراء تقديم الخدمات المكتبية ، والمبادئ التي تحكم العلاقة بين المكتبيين والمستفيدين من جهة وبين المكتبيين أنفسهم من جهة أخرى ، والعلاقة بين المكتبات والمؤسسات الحكومية المختلفة ، والمهام التي يجب أن تبذل تجاه الحفاظ على التراث الثقافى ، وتدفق المعلومات ، واستخدام الانترنت والموضوعات الأخرى ذات الصلة .

### أهمية التشريعات الأخلاقية للأنشطة المكتبية :

توصى الوثيقة التي اعتمدها الإفلا عام ١٩٩٩<sup>(٤)</sup> كدليل إرشادى للجمعيات المهنية والخاص بـ «تطوير سياسات وإجراءات جمعيات المكتبات» بأنها فى مرحلة لاحقة يجب أن تقوم كل جمعية مكتبات بإصدار دستور للأخلاقيات والسلوكيات بحيث يكون له مواد المستقلة وقواعده المنفصلة ، وهذه التوصيات تدير على النحو التالى :

فى الواقع ، إن دستور السلوكيات هو بمثابة التعليمات التي توضح للمجتمع والحكومة أهمية

المهنة والمسئوليات التي تقع على عاتق العاملين بها .

وبناء على ذلك ينبغي على الدستور أن يعمل على تحقيق الأهداف التالية :

\* حث الأعضاء على الامتثال لقواعد الجمعيات وقوانينها .

\* تعليم الأعضاء ضرورة الاستجابة للقوانين والسياسات الوطنية وعدم الانخراط فى أى نشاط من شأنه الإساءة إلى سمعة المهنة .

\* تشجيع الأعضاء على صياغة المعايير التي تضبط كافة الأنشطة المكتبية ، والإطلاع على التطورات الحديثة فى التخصص ، وتحمل المسئولية تجاه تدريب وتأهيل زملاء المهنة الجدد .

فى نهاية عام ٢٠٠٣ ، أجرى تحليل مقارنة للدساتير الأخلاقية التي أجازتها واعتمدها الجمعيات والاتحادات المهنية فى ٣٤ دولة : أرمينيا ، وأستراليا ، وكندا ، وشيلي ، والصين ، وكوستاريكا ، وكرواتيا ، وإستونيا ، وفرنسا ، وأيسلندا ، وأندونيسيا ، وإسرائيل ، وإيطاليا ، وجاميكا ، واليابان ، وكوريا ، وليتوانيا ، وماليزيا ، والمكسيك ، وهولندا ، ونيوزيلندا ، والنرويج ، والفلبين ، والبرتغال ، وروسيا ، وسنغافورة ، وسلوفانيا ، وسريلانكا ، والسويد ، وسويسرا ، وتايلاند ، وأوكرانيا ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة . وانتهى التحليل إلى نتيجة مؤداها أنه رغم التفاوت والاختلاف فى التقاليد الثقافية والاتجاهات

(4) International Federation of Library Associations and Institutions. Management of Library Associations Section: Developing. Policies and Procedures for Library Association. Available at: [www.ifla.org/](http://www.ifla.org/) VII / s4O / Pub / devpol \_ e. htm.

التنموية التي لا يمكن تجاهلها بأية حال من الأحوال في الدول التي شملها التحليل ، فقد كان هناك قاسم مشترك من المسلمات الأخلاقية في جميع دساتير الجمعيات الوطنية للمكتبات. ومن بين هذه المبادئ المشتركة مبدأ أن أساسيان هما : حرية الوصول للمعلومات ، وسرية معلومات المستفيدين الخاصة ، حيث أقرت ٣١ دولة من إجمال ٣٤ مبدأ الحرية الفكرية بينما بلغ عدد الدول التي أقرت مبدأ خصوصية معلومات المستفيدين ٣٢ دولة .

لقد اعتبرت حرية الوصول للمعلومات في معظم الدساتير هدفاً أساسياً لجميع الأنشطة المكتبية ، كما هو الحال بالنسبة لاختصاصي المكتبات في إسرائيل حيث «ينتمي المكتبيون لتلك المهنة التي ترتبط بالحرية الفكرية المبنية على مبدأ حرية الوصول للمعلومات ، والتي تلتزم بدعم الفنون والعلوم واضحة في الاعتبار حقوق العامة وحقوق المؤسسات التعليمية»<sup>(٥)</sup> .

«إن اختصاصي المعلومات في البرتغال هم المدافعون (الأقوياء) عن حرية الوصول للمعلومات ويبدلون من أجل ذلك قصارى جهدهم للتأكيد على أن هذا الاتجاه تم اختياره بواسطة أناس دائمى اليقظة والانتباه لصد أي هجوم محتمل من قبل أي شكل من أشكال الرقابة» ، كما «يعمدون إلى عدم السماح لآرائهم بالتدخل أو التعرض لحرية الوصول للمعلومات» ، وهذا ما يوضحه الدستور الأخلاقي لاختصاصي المعلومات في البرتغال<sup>(٦)</sup> .

وتنظر الجمعية الكندية للمكتبات إلى مبدأ حرية وصول كل الأفراد للمعلومات على أنه محور فلسفة مهنة المكتبات وجزء مكمل لأخلاقياتها ، ويعكس ذلك ما ورد في تقرير الحرية الفكرية الذي اضطلعوا بإعداده حيث يذكر أن «المكتبات يقع على عاتقها مسئولية إتاحة حق حرية التعبير من خلال توفير كل التسهيلات والخدمات المكتبية التي يحتاج إليها كل الأفراد والجماعات داخل المجتمع»<sup>(٧)</sup> .

وصرح أيضاً واضعوا دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصي المعلومات في روسيا في عام ١٩٩٩ بأن اختصاصي المكتبات «عليه أن يوفر قدرًا عاليًا من الجودة ، والراحة ، والإتاحة ، والتنوع فيما يقدم من خدمات من خلال الاستخدام الفعال لمصادر المعلومات المقتناة في مكتبة وكذا المقتناة في المكتبات الأخرى»<sup>(٨)</sup> .

### التمسك بمبدأ الإتاحة العالمية للمعلومات :

على الجانب الآخر ، يسير التشبيك المطلق بمبدأ الإتاحة العالمية للمعلومات جنباً إلى جنب وبالتوازي مع عمليتي التنقية والحجب Filtering & Blocking التي تمارس على مصادر الإنترنت . إن الهدف الذي ندافع عنه بقوة هو الحق في الوصول الحر لمصادر النسيج العنكبوتي (الويب) ، وفي المقابل تنشأ أعداد متزايدة من «المرشحات Fil-ters الأكثر تعقيداً ، و«البوابات Gateways»

(5) [www.ifla.org / faife / ethics / iclcode. htm](http://www.ifla.org/faife/ethics/iclcode.htm).

(6) [www.ifla.org / faife / ethics / bad code. htm](http://www.ifla.org/faife/ethics/badcode.htm).

(7) [www.ifla.org / faife / ethics / cla code. htm](http://www.ifla.org/faife/ethics/cla.code.htm).

(8) [www.ifla.org / faife / ethics / ru code. htm](http://www.ifla.org/faife/ethics/ru.code.htm).

المكتبات ، القواعد الداخلية ، أدلة توصيف الوظائف ... إلخ . حيث تقدم إطار عمل وضوابط تحكم كل موقف أو عملية أو نشاط . ومع ذلك فلا يمكن لمثل هذه المعايير القانونية أن تعفى المكتبيين من مسؤولية اتخاذ القرارات فى المواقف الأخلاقية الصعبة والحرجة التى تعتمد كلية على مفاهيمهم الفردية للخير والشر .

ويوضح بول سترجس Paul Struges الاتجاهات العملية لحرية إتاحة المعلومات فى تقريره الذى تقدم به المجلس الأوروبى فى أكتوبر ١٩٩٨ حيث ذكر خلاله أن «روبرت هوبتمان Robert Hauptman أجرى تجربة استكشافية . حيث قام بزيارة ١٣ مكتبة وطلب فى كل زيارة معلومات عن الخواص الكيميائية للبارود القابل للانفجار وفى كل مرة يوضح للمكتبيين أنه ينوى نسف منزل يقع فى ضاحية المدينة . وكانت نتيجة ذلك أن أجاب على طلبه كل مكتبى قام باستشارته دون توجيه أى تساؤل ، الأمر الذى دفعه للتعليق على ذلك قائلاً : «أن هؤلاء المكتبيين لم يتيقنوا من أى دليل يتجعلهم يتخذون قراراً أخلاقياً لمنعه من الحصول على المعلومات التى ضلها» ، وتؤكد تعليقات هوبتمان على أن المكتبيين أظهروا فى واقع الأمر إدراكاً واضحاً تجاه الإلتزام الأخلاقى بحيث لم يتصلوا منه<sup>(٩)</sup> .

فى عام ١٩٩٩ ، تم إجراء بحث مثير فى المكتبة الوطنية لبريانجا Buryatija (جزء من الاتحاد الروسى) ، والمكتبة لا مركزية العامة لمدينة أولان أود Ulan Ude (الاتحاد الروسى) . وزعت استبانة على

الأكثر تقييداً للوصول للمعلومات . ولعل ذلك يتشابه مع الموقف الجدلى والمناقشات الحماسية والمستمرة حول حقوق الإنسان وحرية فى ظل التزايد المطرد فى أعداد أبنية السجون . ومهما يكن من أمر ، يبدو ذلك كما لو كان القانون العام الذى يحكم المدنية ، بالإضافة إلى أن وسائل تقنية المعلومات وحججها تعد مستوى جديداً غير مسبوق للرقابة . إن هذه الوسائل تجعل الرقابة المستمرة قادرة على انتهاك خصوصيات المعلومات السرية المتعلقة بالمستفيدين المتواصلين عبر الإنترنت ، وتتبع ما يمارسونه من أنشطة على الشبكة ، واستخدام ذلك كله لأغراض تجارية صرفة .

وفى هذا السياق ، يكتنف المكتبيون كموردين شرعيين للمعلومات عبر الإنترنت قدر من الإرتباك بسبب تناقض قيم التملك والمشاركة وعدم ثباتها فى ظل هذه البيئة الجديدة . وعلى الجانب الآخر ، يجب على المكتبات أن تحترم مبدأ الحرية الفكرية كما تحدد سياساتها . وفى واقع الأمر ، تنشذ المكتبات منذ أن خرجت إلى حيز الوجود تحقيق هدف محدد ألا وهو حفظ المعلومات وإتاحتها . ومن ناحية أخرى ، تعتبر وظائف المكتبات هدفاً إنسانياً ومن ثم يقع على عاتق المكتبيين - مثلهم فى ذلك مثل الفيزيائيين والمدرسين وغيرهم - مسؤولية أخلاقية تجاه المستفيدين المتعاملين معهم . ويعنى ذلك أن المكتبى عليه أن يحترم كلتا القيمتين : الأخلاقيات العامة ، والحياة الإنسانية .

فمن المعروف أن خدمات المعلومات تركز على وتخضع لعدد من اللوائح والقوانين مثل : قوانين

(9) Strugs, P. Freedom of Expression and the Communication Networks. CC Cul (1998) 18, Strasourg.

المكتبيين بهدف التعرف على آرائهم بشأن الدستور الأخلاقي الذي أجهز في عام ١٩٩٩ على نحو يغطي جميع الأنشطة والخدمات المكتبية . وأظهرت النتائج أن ٧٣٪ من مفردات العينة يرون أن حرية إتاحة المعلومات هي التي تتيح تنمية القارئ فكرياً ، وأخلاقياً، من خلال تواصله مع الثقافة العالمية، وأن حرية إتاحة المعلومات وثيقة الارتباط بالمكتبات ومرافق المعلومات. وفي نفس الوقت أعرب المكتبيون الذين أجريت عليهم الدراسة عن «استمرارهم في تلبية احتياجات المستفيدين من المعلومات السلبية كتلك التي تتناول المنتحرين وأساليب الانتحار رغم ما يسببه لهم ذلك من ضيق شديد»<sup>(١٠)</sup> . ويمكن أن نعزو ذلك إلى عدم امتلاك هؤلاء المكتبيين للمبادئ الأخلاقية التي تتناول هذه المواقف مما يعكس بعض جوانب القصور في الدستور الجديد .

### تعقد المسألة الأخلاقية بعد أحداث ٩/١١:

من الواضح أن الموقف أصبح أكثر خطورة وتعقيداً منذ هذا التاريخ ، ويرجع ذلك إلى تفاقم المشكلات السياسية المعاصرة . ومما لا شك فيه أن النموذج المثالي الذي يجب أن تكون عليه الخدمات المكتبية تأثر إلى حد بعيد بتلك المتناقضات التي خلفتها هذه المشكلات ، فعلى سبيل المثال ، تتعرض المكتبات العامة في الولايات المتحدة لتحديات صعبة في أعقاب كارثة ٩/١١ . وهذا ما كشفت عنه المناقشات أثناء المؤتمر

الدولي التاسع «كريميا ٢٠٠٢» في يونيو عام ٢٠٠٢ المنعقد في سوادك Sudak ، حول الجوانب الأخلاقية للإمداد بالمعلومات وثيقة الصلة بأنشطة الإرهاب الأساسية من ناحية ، واستفسار مكتب التحقيقات الفيدرالية FBI عن طلبات القراء المترددين على بعض المكتبات الرئيسية حول أنشطة الإرهاب من ناحية أخرى<sup>(١١)</sup> .

وتبين المعلومات المثيرة التي انظوى عليها تقرير اختصاصي المكتبات بجامعة ولاية سان جوز San Jose State University الأوقات العصبية التي عاشوها عقب ٩/١١ ، حيث تلقوا استفسارات وتساؤلات عديدة عن اهتمامات معلوماتية بعينها لعدد محدد من المستفيدين من المكتبة المركزية بالجامعة . على أية حال ، استمسك المكتبيون العصريون بمبدأ حماية الخصوصية معتبرين طلبات المستفيدين شيئاً مقدساً لا يقل أهمية عن حقوقهم في الوصول للمعلومات . تنص الفقرة ٣ من الدستور الأخلاقي للجمعية الأمريكية للمكتبات على أن «يقوم اختصاصيو المكتبات والمعلومات بحماية كافة حقوق المستفيدين من المكتبات من خلال احترام الخصوصية وحماية سرية المعلومات التي يسعون للوصول إليها أو تلك التي يحصلون عليها ، وكذلك حماية سرية المصادر التي يقومون باستشارتها أو استعارتها أو اقتنائها أو تداولها»<sup>(١٢)</sup> . واستناداً إلى ذلك فقط قام المكتبيون بتجاهل استفسارات مكتب التحقيقات الفيدرالية .

(10) Eova, S. A. "Kodeks Professional'noj etiki rossiiskogo bibliotekarya prinat, no obsugdenie prodol-gactsyia ".*Nau chine i technicheske*. No. 10 (2002).p. 94.

(11) 9th International Conference "Crimea 2002", Sudak, Crimea, 8-16 June 2002. Available at: [www.gpntb.ru/winter-events/Crimea2002/eng/confer1.htm](http://www.gpntb.ru/winter-events/Crimea2002/eng/confer1.htm).

(12) FAIFE: [www.ifla.org/faife](http://www.ifla.org/faife).

عامى ٢٠٠٢<sup>(١٤)</sup> ، و ٢٠٠٣<sup>(١٥)</sup> ، وأثناء المؤتمر الدولي العاشر «كريميات ٢٠٠٢» حول المعلومات الحكومية والديمقراطية ، وخلال الاجتماع الثاني لمجموعة الإفلا الخاصة بدول شرقي أوروبا حول المعلومات الحكومية وإتاحتها للجمهور العام<sup>(١٦)</sup> .

ومع أنه لا يوجد بروسيا حتى الآن مثل هذه القوانين المضادة للأنشطة الإرهابية التي من شأنها أن تحد من حرية وصول المستفيدين من المكتبات لمصادر الإنترنت ، إلا أن الموقف لم يعد يتسم بالهدوء أيضا . فيوجد في روسيا حوالى ٥٠,٠٠٠ مكتبة عامة ، ومع ذلك لا يقدم من هذه المكتبات نقاط إتاحة للاتصال بالإنترنت سوى عدد محدود للغاية بسبب ضعف التمويل . وتمثل مكتبات القرى (الريفية) النسبة الغالبة حيث يبلغ عددها ٣٩,٠٠٠ ، ومازال أقصى ما يتحمله بعضها مجرد الحصول على خطوط تليفونية وليس كابلات الربط بالإنترنت . بيد أن معظم المكتبات الواقعة فى المدن الكبيرة أو المدن الصغيرة متصلة بشبكة الإنترنت بسبب ما تلقاه من تمويل الهيئات والمؤسسات المحلية لها . إن نمو الإنترنت فى روسيا يسير بالتوازي مع التزايد المطرد فى إقامة التداير التي تعتمد إلى تقنية المعلومات المتاحة على الإنترنت فقد أصبح على المكتبيين أن يواجهوا مشكلة حقيقية -

ولأن اختصاصى المكتبات الأمريكين يتميزون بانجهااتهم المهنية الأكثر تشدداً فى التمسك بديمقراطية تداول المعلومات وما يتصل بها من حريات ؛ تقدم كل من الجمعية الأمريكية للمكتبات American Library Association (ALA) ، والاتحاد الأمريكى للحرية المدنية The American Civil Liberties Union (ACLU) بنقض لقانون آداب الاتصال الذى اعتمده الرئيس بيل كلينتون فى ١ فبراير ١٩٩٦ .

ومن المعروف جيداً أن المكتبات العامة الأمريكية تعرضت لتحد غير مسبوق يتمثل فى مواجهة القانون الوطنى Patriot Act الصادر فى ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ ، ويكسب هذا القانون ، مكتب التحقيقات الفيدرالية الحق فى الإطلاع على سجلات المكتبات . ولا يخفى على أحد أن دولاً عديدة قد تأثرت بهذا القانون الأمريكى ، وتشمل قائمة هذه الدول : كندا ، الصين ، فرنسا ، ألمانيا ، إندونيسيا ، الأردن ، باكستان ، السعودية ، أسبانيا ، أوغندا ، المملكة المتحدة ، زيمبابوى ، وغيرها من الدول التي صاغت تشريعات مماثلة<sup>(١٣)</sup> .

ونوقشت مثل هذه المشكلات المتعلقة بانتهاك حقوق المستفيدين من المكتبات والمتصلة بحماية سرية معلومات الأفراد فى المؤتمر السنوى للإفلا

(13) Sussman, L. & Deutch Karlekar, K. (Eds). The Annual Survey of Press Freedom, Freedom House, New York, Ny. Washington, DC, Belgrade, Bucharest, Kiev, Tashkent, Warsaw. Available at: www.Freedomhouse.org/Pfs 2002.pdf.

(14) 68<sup>th</sup> IFLA General Conference. Glasgow, Scotland, 18-24 August 2002. Available at: www.ifla.org/IV/ifla 698/index.Htm.

(15) 69<sup>th</sup> IFLA General Conference. Berlin, Germany, 1-9 August 2003. Available at: www.ifla.org/IV/ifla 698/index.Htm.

(16) 10<sup>th</sup> International Conference "Crimea 2003", Sudak, Crimea, 7-15 June 2003. Available at: www.gpntb.ru/win/inter-events/crimea 2003/eng/.

لاختصاصى المكتبات الروس بعبارة «ينبغي أن يُنظر إلى حرية إتاحة المعلومات على أنها حتى من حقوق الأفراد التي لا تتجزأ»<sup>(١٩)</sup> ، وبين ممارسات المكتبات لإتاحة المصادر على الويب .

ولعل هذا ما يكشف عنه واقع المكتبات العامة الروسية التي داومت على إقامة المرشحات لحجب المواد الإباحية ، ومنع التراسل المعتمد على البريد الإلكتروني عبر الأنترنت . إن توجهات المكتبات العامة نحو استخدام الأنترنت غير مرضية حتى وإن نحينا مشكلات نقص التمويل جانباً . فعلى سبيل المثال ، كيف يتسنى لاختصاصى المكتبات العصرية أن يرفض طلباً لمستفيد يرغب فى الإطلاع على كتب أو دورية متخصصة فى «الجنس» (مثل غالبية قصص الحب الشهيرة) ؟ إن اهتمام المكتبات البحثية بتلبية حاجات المستفيدين ودعم بحوثهم يتفاوت حسب مدى ارتباط المعلومات المطلوبة بالتخصص الذى تخدمه هذه المكتبات . وهكذا فإن المكتبة البحثية لجامعة ولاية كراسنويارسك Krasnoyarsk الروسية تصنقف الألعاب ، وصفحات الويب الشخصية ... إلخ كمواد لا تدخل فى «دائرة الاهتمامات» التى تخدمها ، ومن ثم لا يسمح للمستفيدين «باستنساخ أو طبع محتويات المواد الإباحية»<sup>(٢٠)</sup> .

وفى هذا الصدد ، يشير الدليل الإرشادى لسياسة الثقافة الأوروبية الذى أعده المجلس الأوروبى

ألا وهى إتاحة الوصول العالمى والحر لمصادر المعلومات المستحدثة التى تنطوى عليها الأنترنت ، والتى تنص عليها القوانين واللوائح الدولية من ناحية ، وحماية أخلاقيات القراء من فيضان «القاذورات» الذى يتطلب استخدام المرشحات . أضف إلى ذلك أن هؤلاء القائمين على إعداد وتصميم مرشحات الأنترنت فى المكتبات غالباً ما لا يدركون أنهم بذلك إنما يتحولون ليكونوا رقباءً جدداً . ويعيداً عن القانون الفيدرالى الروسى لمهنة المكتبات الصادر عام ١٩٩٤ ، ظهر دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصى المكتبات الروسى فى عام ١٩٩٩<sup>(١٧)</sup> . ويزداد الموقف تعقداً بسبب كثرة المناقشات والبحوث فى الإنتاج الفكرى المهنى المنشور حول الموضوع .

ولا يخلو الأمر من بعض التطبيقات السلبية لمبادئ دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصى المكتبات الروس عند إتاحة وصول المستفيدين لمصادر الأنترنت . ويتضح ذلك من المقابلات الشخصية القصيرة عبر البريد الإلكتروني مع ٢٥ اختصاصى مكتبات ممن يعملون بالمكتبات الإقليمية الروسية على اختلاف أنواعها (عامة ، بحثية ، ... إلخ) خلال شهرى يناير وفبراير ٢٠٠٢<sup>(١٨)</sup> . وتقوم فكرة الاستبانة على استطلاع رأى مجتمع المكتبات حول موضوع تنقية مصادر الأنترنت . وانتهى البحث إلى وجود فجوة واضحة بين الدور الذى عبر عنه دستور الأخلاقيات المهنية

(17) [www.ifla.org/faife/ethics/rucode.htm](http://www.ifla.org/faife/ethics/rucode.htm).

(18) Trushina, I. A. Ethica i electrinnij mir, *Biblioteka*. No. 9 (2002) pp. 6-9.

(19) Firsov, V. R. & Trushina, I. A. *Bibliotechnaja Etika V Stranah Mira*. St Petersburg: National Library of Russia, 2002.

(20) Krasnoyarsk State University Resarch Library (Russia), <http://res.krasu.ru/Nbkgu/CPI/Index.Php?rules>.

Hotmail . ويرجع دافع ذلك إلى «أن مكتبتنا إنما هي مكتبة عامة يتردد عليها الجميع صغاراً وكباراً ، ولا تزال خدمات الإنترنت تقدم بصورة مجانية . وإذا فتحنا قاعة الإنترنت في المكتبة لكل شخص يرغب في التراسل ، فلن يكون هناك وقتاً كافياً للقراء . إن مقاهي الإنترنت التي تقدم خدمات الإنترنت بأسعار متفاوتة تتراوح بين ١٥ و ٢٥ روبل منتشرة في جميع أرجاء الإقليم ، ومن ثم فإنه على ما يتغنى القيام بهذه الأنشطة (المراسلة) التماسها هناك ، وفي الوقت ذاته نضطلع نحن بتتبع الأساليب الفعالة لتصميم قاعات القراءة الإلكترونية»<sup>(٢٢)</sup> .

ويكمن الدافع وراء استخدام المرشحات Fil-ters في المواقع التي تتيح استخدام الإنترنت داخل المكتبات في كثير من الأحيان إلى التراجع الشديد . فعلى سبيل المثال ، ينهج مدير إدارة النظم في المكتبة الوطنية الروسية هذا الأسلوب وهو الاعتماد على استخدام المرشحات حيث أن هذا هو الأسلوب الأكثر استخداماً من قبل المكتبات والمستخدمين المعتمدين لخدمات بروكسي Proxy الشهيرة ، فعندما يتم الولوج إلى أحد المواقع الجنسية ، تتحول المواد لتصبح أكبر حجماً الأمر الذي يستدعي القائمين على الخدمة باتخاذ الإجراءات اللازمة ، كما يدخل الإعلانات التي تظهر أثناء تصفح المواقع عبر أنحاء العالم أيضاً ضمن قائمة المواد التي ينبغي حججها<sup>(٢٤)</sup> . وتعتبر معظم المكتبات عملية

عام ٢٠٠٠ والمعنى بالسياسات التي تحكم وتنظم إتاحة المؤسسات المتخصصة للإنترنت ، حيث يذكر «أنه من الضرورة بمكان إعداد المؤسسات المتخصصة سياسات توضح وتحدد مستويات الإتاحة المسموح بها والتي تتناسب مع أهداف هذه المؤسسات وخططها ... وينبغي أن يكون المستفيدون على دراية بمثل هذه القيود من خلال استعراض بنود تلك السياسات»<sup>(٢١)</sup> . هذا فيما يتعلق بالمؤسسات المتخصصة ، أما إذا تطرقنا للحديث عن المكتبات العامة التي تضع في مقدمة أولوياتها واهتماماتها الإتاحة الحرة لكافة مصادرها ، لا بد وأن الأمر سيختلف نوعاً ما .

إن القواعد المنظمة لاستخدام الإنترنت التي صاغتها مكتبة ولاية أ. م. جوركي بريمورسكاجا العامة A. M. Gorky Primorskja State Pub-lic Library (روسيا) تحذر ممارسة الأنشطة التالية أثناء إجراء المحادثات عبر الإنترنت Chatting : زيارة المواقع الجنسية المثيرة للشهوات ، والمواقع الدعائية . ويتناقض ذلك مع المهمة الرئيسية التي ينبغي أن تضطلع بها المكتبات العامة ألا وهي عدم إعاقة الإتاحة العالمية للمعلومات<sup>(٢٢)</sup> .

كما أن المكتبة العالمية لإقليم Tver (روسيا) لا تسمح للمستفيدين من خدماتها لا بالدخول على المواقع الجنسية ، ولا بالمحادثات عبر الإنترنت ، ولا حتى باستخدام الأنواع المختلفة من خدمات البريد الإلكتروني بما في ذلك خدمة

(21) Council of Europe. Public Access and Freedom of Expression in Cultural Institutions: Guidelines for European Cultural Policy, DECS / CULT/ NTII/ libex (2002) 2.strasbourg, 8 June.

(22) Trushina, I. A. Op. Cit.

(23) Loc. Cit.

(24) Loc. Cit.

حذر إتاحة الوصول للمواقع ذات الطابع الجنسى مهمة اساسية تقع على عاتقها لحماية القراء من التأثير السلبى لبعض مصادر الإنترنت ، حيث توجد مغريات عديدة تؤدي بصاحبها إلى الوقوع فى «برائن الخداع» بكل ما تحمله الكلمة من معانى<sup>(25)</sup> .

وبعد مرور خمسة أعوام من تاريخ إجازة الدستور الروسى لأخلاقيات المكتبات ، اتخذ القرار بشأن مناقشة اتجاهات تطوير أثناء المؤتمر السنوى للجمعية الروسية للمكتبات<sup>(26)</sup> المنعقد فى مايو ٢٠٠٤ فى نوفوسيبيرسك (Novosibirsk) (سبيريا ، روسيا) خلال المائدة المستديرة حول أخلاقيات المكتبات والعلاقات المهنية . لقد كان واضحاً ، بما لا يدعو مجالاً لشك أن الوثيقة الحالية لا تقدم مبادئ أخلاقية كافية بالشكل الذى يلائم رؤية اختصاصى المكتبات فى روسيا ، ومن ثم فهو يحتاج إلى التحديث وإجراء بعض التعديلات .

كانت أكثر القضايا الساخنة المتصلة بموضوع الإتاحة العالمية والحررة لمصادر المعلومات المتاحة عبر الإنترنت هى تلك المرتبطة بالتأثير «التخريبى» للمصادر التى يعتبرها الرأى العام مثيرة للجدل على العقول الصغيرة (الأطفال والنشء) . ويشعر عدد قليل جداً من المكتبيين بالرضى عند مساعدة المراهقين فى إيجاد بعض مصادر الويب التى تتناول تفاصيل قصص الحب أو الموت الرومانسى . وبما لا شك فيه أن غالبية الأفراد الذين لديهم أطفال سوف يتفقون مع ذلك الاتجاه .

لقد حظى الموضوع بأهمية خاصة فى مجال تقديم خدمات المعلومات للأطفال . وتجدر الإشارة هنا إلى استخدام المكتبات فى أيسلندا مرشحات الإنترنت فى مكتبات المدارس الإعدادية والثانوية على نطاق واسع . وهنا نتساءل هل يعتبر استخدام مرشحات الإنترنت هو الحل الأمثل ؟ وفى هذا السياق كتب عضو أيسلندا فى لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير المنبثقة من الإفلا FALFE ؛ سفاها هـ . Svava H. يقول : «أعتقد أن هذه المرشحات تساعد كلاً من الآباء ، ومديرى المدارس ، واختصاصى المكتبات فى التعرف على نوعية المعلومات التى يبحث عنها الأطفال والمراهقون على الإنترنت ، كما تمنع الأطفال من الوصول إلى المعلومات / الصور التى تؤدي إلى تدميرهم ... وفى المقابل فإن استخدام المرشحات لا يساعد المراهقين على تحمل المسؤولية أثناء مرحلة المراهقة ، ذلك أنه يجعلهم غير قادرين على إصدار الأحكام النقدية التى تجعلهم يقولون «لا» لأي تقدم جنسى صارخ غير مرغوب فيه ، ويتفاعلون مع قصص الحب الرومانسية دون التعرض لأخطار التجربة والممارسة<sup>(27)</sup> .»

## هل يتضمن مبدأ الإتاحة الكونية للمعلومات

### التماسك المطلوب ؟

لقد انساق المجتمع الدولى نحو إدراك الأهمية الدولية التى تحققها الإتاحة الكونية للمعلومات فى النصف الثانى من القرن العشرين . وتزايد الوعى

(25) Bibliotheca. Glavnie Pravila bez Opasnosti. *Biblioteka*, No. 6 (2001). p. 26.

(26) Russian Library Association, www. rba.ru.

(27) Vaagan, R. Op. Cit.,

بأهمية المعلومات وما يرتبط بها من حقوق كفاءة عظمى ، وكحق من حقوق الإنسان الأساسية والطبيعية التي يكفلها الضمير العالمي ، كما كانت هذه القضايا محور اهتمام العديد من الوثائق الدولية التي أصدرتها الأمم المتحدة ، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ، والمجلس الأوروبي ، وعدد من المنظمات المهنية على المستوى الدولي والوطني .

على الجانب الآخر من ذلك ، تسبب النمو المتزايد لإتاحة الوصول للمعلومات في تصدى الحكومات والأجهزة الأمنية التي تنظر إلى شبكات المعلومات والاتصالات كما لو كانت أداء لتدمير أفكارهم ومفاهيمهم نحو المجتمع السوي إلى هذا المبدأ<sup>(28)</sup> . وتتفاوت المجتمعات في قبولها لمصادر الإنترنت ، فهناك من لا يستطيع قبول كل أنواع المصادر التي تتيحها الإنترنت ، بينما تستحسن مجتمعات أخرى كل المصادر المتاحة . إن المصادر التي غالباً ما تلقى معارضة هي تلك التي ترتبط بالجنس والمخدرات والتسلح والسياسة ، ومع ذلك فالإنترنت لا يمكن ضبطها والتحكم في مصادرها بدرجة تحدد من استخدام هذه القنوات . وفيما يتعلق بالآراء حول القيود المفروضة على إتاحة المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات ، فإن تنقية المعلومات عادة ما تلقى قبولاً أقل في المكتبات العامة كمؤسسات تعمل على بث المعلومات لعامة الشعب أكثر من أي نوع آخر من المكتبات . وتكاد تجميع معظم تشريعات المكتبات على إن اختصاصي المكتبات غير مشمول عن محتويات المعلومات التي

يقدمها . ومهما يكن من أمر ، سيستمر الجدل حول الأخلاقيات المنصوص عليها في الدساتير المهنية ، طالما أن مهنة المكتبات تعتمد وبدرجة كبيرة على السمات الفردية (الشخصية) لاختصاصي المعلومات من حيث توجهاته السلوكية وقيمه الأخلاقية التي يعتقها .

إن اتساع الفجوة فيما بين الدساتير النظرية ، والممارسات التطبيقية لها ، من شأنه أن يفقد هذه الدساتير الصبغة القانونية أو الشرعية ، وقد يؤدي ذلك إلى فقد المجتمع للثقة في مهنة المكتبات . فعلى سبيل المثال ، هب أن هناك مكتبياً يحترم مبدأ الإتاحة الحرة والعالمية للمعلومات ، وعندما يطلب منه أحد المستفيدين الحصول على معلومات عن المواد شديدة الانفجار أو معلومات عن أساليب تجهيز القنابل اليدوية يفاجئ بأن قانون الحماية من أنشطة الإرهاب يحرم ذلك ، ما هو شعور المكتبي حينذاك ؟ هل سيشرعه ذلك بالرضى عند تقييم مهنته ؟

ونشير هنا إلى حالة مختلفة ، فرغم أن الأحداث التاريخية لا يصدق عليها الأفعال الشرطية ، فقد شهدت المكتبة الوطنية الروسية الواقعة الآتية . أثناء إعداد بعض الصحفيين الفرنسيين فيلماً تسجيلياً عن بطرسبرج وجوهوا نساؤلاتهم إلى س. ي. جرين C. I. Grin ؛ مؤرخ المكتبة الوطنية الروسية ، ومؤلف لعدد من الأعمال التي تتناول أشهر قراء المكتبة ؛ ف. ي. لينين V. I. Lenin قائلين : هل كان من الممكن أن

(28) Sturges, P. Internet, Svoboda vyrazhenija i mesta obshestvennogo dostupa. In: Isonzura v Rossii.

*Istrojia I Sovremennost*. St Petersburg: National Library of Russia. P. 233.

يقوم للثورة الروسية عام ١٩١٧ قائمة لو أن لينين لم يتيح له الوصول إلى قاعات القراءة في مكتبتنا القومية الغنية بمصادرها .

### خاتمة :

وختاماً ، توجد كلمات قلائل حول المؤتمر الدولي لمجتمع المعلومات الذي عقد للمرة الأولى في جنيف في ديسمبر عام ٢٠٠٣ . كانت تلك هي المرة الأولى التي تناقش فيها قضايا المعلومات على مستوى رؤساء الدول . وتعتبر الوثيقة الختامية للمؤتمر (ميثاق المبادئ)<sup>(٢٩)</sup> عن الأبعاد الأخلاقية لمجتمع المعلومات على النحو التالي : «ينبغي أن يحترم استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حقوق الإنسان والحريات الأساسية للآخرين ، بما في ذلك خصوصيات الأفراد ، والحق في حرية التفكير ، والإدراك ، وحرية العقيدة ، كما ينبغي أن يخضع هذا الاستخدام للتعليمات الدولية ذات الصلة» . ولعل أهم هذه التعليمات كما رأينا هي

مبدأ الحرية الفكرية ومبدأ احترام خصوصية المعلومات ، فهذه المبادئ الأخلاقية تخضع إلى التطوير المستمر في جُل الدساتير الأخلاقية للمكتبيين المعروفة لدينا .

«وإذا نظرنا إلى الكتاب المقدس ، وذلك الكتاب الذي يضم بين طياته جميع الكتب ، نقرأ في الصفحة الأولى لوصايا جون الجديدة Johns New Testament : «في البدء كان الكلمة ...» ورغم تعاقب الأزمنة والعصور منذ تسجيل هذه السطور الخالدة ، بحيث أصبحت الأشياء على نحو مختلف عما كانت عليه في الماضي ؛ إلا أن هذه المعاني لا زالت حقيقة واقعة . الأكثر من ذلك ، أنه في السياق الحالي لمجتمع المعلومات وتكنولوجياتها المتقدمة لم تستقر هذه الحقيقة بعد في الأذهان . إن المفاهيم التي يمكن أن تحملها «الكلمة» لم تختلف عن الماضي ، فلا يزال للكلمة القدرة على تحقيق الشيء ونقيضه : الابتكار والتدمير ؛ البناء والهدم .



(29) World Summit on Information Society. Deceleration of Principles, WSIS - 03 / GENEVA/DOC/0004. Available at: [WWW.itu.int/wsis/documents/dos\\_multi-en-1161/1160.asp](http://WWW.itu.int/wsis/documents/dos_multi-en-1161/1160.asp).